الأَديبْ و المُفَكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عهد الله

الحلقة الثالثة عشر

مقدمة البرنامج.....

مؤثرات...

مساعد: " يرفع صوته " أليس في الدار أحد؟.. أين أنت يا أستاذ مراد؟

مراد: " وكأنه يعود بعد غياب " من هناك؟

مساعد: أنا مساعد يا مراد.

مراد: ادخل يا أخ مساعد فليس في الدار أحد غيري أنا.

مساعد: " فترة صمت " سلام الله عليك.

مراد: وعليك السلام ورحمة الله.

مساعد: ما هذا الذي أراه؟ لكأنك تستعد لبيع المكتبة بالمزاد العلني؟

مراد: لعلك تلاحظ الفوضى فيها؟

مساعد: وهذا مما لم أعهده عندك من قبل.. فقد طالما أعجبني في مكتبتك النظام والتصنيف الدقيق للكتب حسب موضوعاتها ثم إذا بي أرى اليوم مشهدا غريبا عجبا.

مراد: لا تعجب يا أستاذ مساعد فأنا على وشك أن أكفر بكل هذه المجلدات التي قضيت السنين الطوال في اقتنائها وتجليدها وتصنيفها على الطريقة التي تعرفها من قبل.

مساعد: خير إن شاء الله؟ هذه ظاهرة جديدة عندك فما الذي دفعك إلى اتخاذ مثل هذا الموقف وأنت الذي طالما أشدت بالكتاب أمام تلاميذك والمستمعين إليك في حلقاتك المعقودة!.. ألا تذكر يا مراد قولك في أكثر مناسبة: وخير جليس في الانام كتاب؟

مراد: كل هذا صحيح يا مساعد لولا أنني بدأت منذ مدة طويلة أشعر شعورا خفيا بعبثية ما يكتب وما يقال على ألسنة المحاضرين. لقد بدأت أشعر بأن الألوان الواضحة والأشكال المحدثة التي تتمايز بها الأشياء والمواقف قد أخذت تغيب وتضيع على صورة غريبة.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

مساعد: ما أزال أمام المعميات.. أفلا تفصح قليلا يا عزيزي؟

مراد: حسن جداً.. لقد بدأت أشعر أن المعاني التي تحتويها الكلمات لم تعد أكثر من أشباح رمادية في ليل مظلم. فاذا حاولت أن أمسك بها لا تلبث حتى تنزلق من يدي بل حتى تضيع من عيني.. قل لي يا مساعد: ماذا بعد الجهود التي بذلناها ونحن نقول لمن يجب أولا يجب أن يسمع: أنه لا أمل في الإصلاح إلا بتقوى الله.. وأن الطهارة في القلب هي منطلق التقدم؟ لا شيء بعد ذلك غير أن الأوضاع السابقة قد استمرت دون تغيير.

مساعد: فأنت إذاً يا مراد يائس من التغيير أليس كذلك؟

مراد: ويائس من أن تصلح هذه الكتب لأكثر من الزينة في واجهات منسقة لامعة..

مساعد: إذا كانت الدعوة إلى الحق صفقة تجارية لا يكتب لصاحبها النجاح إلا بربح يحققه من ورائها فأنا معك وربما فكرت بعقلك أنت. لكن الدعوة إلى الحق يا مراد جزء من الحياة.. أنها هي نفسها تلك الطاقة المستنيرة التي بها نبرز وجودنا ونفسر تعلقنا بالحياة. وماذا يهمك أنت أن تنجح دعوتك أو لا تنجح أن تجارة العقيدة الصالحة هي تجارة من نوع خاص لا يسأل صاحبها عن ربح مباشر يدخله في خزانته على طريقة تجار السلع العادية.. أن ربحه هو في صميم البضاعة التي يقدمها.. فما دام أنه قادر على الدعوة إلى الله وإعلان الحقيقة فهو رابح أما ما وراء ذلك فليس من شأنه.

مراد: ألا تعتقد يا مساعد أن الواحد منا يفرحه أن يجد ثمرة نشاطه وأن يشعر بأن المعاني التي يرددها قد تجسدت في عقول بعض الناس وسلوكهم؟

مساعد: هذا صحيح.. لكنه حين لا يتحقق فهو لا يعني اليأس من الناس.. أن علينا على الأقل أن نتأدب بأدب القرآن في هذا الميدان.. أو ليس أنه عز وجل قد قال لعبده النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم: وما عليك ألا يزكى؟ وقال له: إن عليك إلا البلاغ؟ وقال أيضا: لست عليهم بمسيطر؟ ألخ.. فإذا كان النبي نفسه وهو أفضل الخلق قد تعلم من ربه ألا يتعجل التغيير في النفوس والا يعتبر هذا التغيير ثمرة حتمية لدعوته وأن يقتصر على قول الحق والدعوة إليه أفلا يجدر بنا نحن أن نتعلم منه ونسير على أثاره؟

مراد: " يتردد " هذا صحيح يا مساعد لكن..

مساعد: " يقاطعه " لا تقل " لكن " القضية يا مراد تتلخص في حقيقة واحدة أو لنقل في واجب واحد. انه واجب أن نقول ما تعتقد أنه الحق وأن تردده في كتاب مكتوب أو محاضرة أو حوار متبادل. أما ما وراء ذلك فليس من شأننا أبدا.

مراد: وما رأيك في هذا الذي أشعر به من الكآبة والحزن العميق؟

مساعد: رأيي أنك متعب وحسب وأنك في حاجة إلى شيء من الراحة ثم تعاود نشاطك من بعد فرحا به متفائلا في النظر إلى المستقبل فليس كالحيوية والأمل ما يدفع صاحبهما إلى متابعة كفاحه لأنهما يشعرانه بأن الكفاح هو معنى الحياة أو هو جزء منها.. ارحل من هذه المدينة قليلا وطوف في الأفاق فلا بد أن تجد فيها ما يقنعك بأ، في مدينتك قسطا من الخير يستحق أن تضاعف نشاطك من أجله..

مراد: لعلك على حق في هذا الاقتراح.

مساعد: إذاً لنستعد للرحلة وأعلمني بتاريخ سفرك لأودعك في المطار أو في الميناء. ولعل السفر على باخرة في مثل هذه الأيام أعود عليك بالفائدة..

نقلة موسيقية.....

خالد: هذا الذي سمعناه يا أستاذ مساعد قد أفادنا كثيرا بحمد الله.

سعيد: كما أنه ذكرنا لسبب لا ندريه بقوله عز وجل: " ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا "..

خالد: ومع ذلك فنحن رغم تردد هذا القول القرآني في نفوسنا لم نستوعب بعد أبعاد هذا القول.

مساعد: وهل هذا هو رأيك أنت يا سعيد؟

سعيد: انه يا أستاذ مساعد رأي الأخوان كلهم..

مساعد: حسن جدا.. أنا معكم أيها الأبناء في أن الحوار الذي جرى بيني وبين أخي الأستاذ مراد يذكر بمعنى التوكل. والسبب بعد التفكير يبدو واضحا: أن التوكل كما يقول بعضهم: هو شعور بهيمنة الله على الحياة وبأن حركاتها وسكناتها محكومة بحوله وقوته لا يمكن أن تند منه ولا أن تبعد عنه.

خالد: طيب يا أستاذ مساعد: فما هو دورنا نحن في هذه الحياة الدنيا؟ هل هو مجرد أن نعقد صلة بيننا وبين الله في القلوب؟ أم هو في إحساسنا بالقدرة على صنع مصيرنا وتغيير الدنيا من حولنا؟

سعيد: اذا كان المعنى الأول هو المقصود فنحن متوكلون على الله لأن صلتنا به صلة قائمة في القلوب.. وإذا كان المعنى الثاني هو المقصود فنحن فاشلون لأننا لم نستطع حتى اليوم أن نغير هذه الدنيا التغيير الذي نطمح إليه.

مساعد: المعنيان صحيحان وكل منهما مرتبط بالآخر.

خالد: فكيف ذلك يا أستاذ مساعد؟

مساعد: عندما تدركون معنى التوكل كما شرحته لكم قبل قليل وعندما تتذكرون أن الدنيا لم تخلق عبثا بل ضمن قوانين ثابتة لا تتغير فإن مهمّتكم تنحصر في أن تنشطوا وتتحرّكوا داخل هذه القوانين.

سعيد: لكننا لا نعرفها كلها. فلو عرفناها لأدركنا حدود أنفسنا ولتجنّب أمثال الأستاذ مراد الوقوع في حال الحيرة والكآبة التي تشبه حال اليأس.

مساعد: هنا يأتي دور التوكل يا سعيد.. نحن نعمل في ضوء الإيمان بما نعتقد أنه الحق.. ومهمتنا هي الاستمرار في العمل بحيث يصبح هذا العمل جزءاً من حياتنا بل هو مبرر وجودنا كله. أما ما وراء ذلك فندعه لله عز وجل الذي خلق الخلق وعين قوانينه وسننه التي لا تتغير فيها ولا تحويل إلا متى شاء.

خالد: ومتى ندرك أن الله يشاء التغيير والتحويل في سننه وقوانينه؟

مساعد: هذا أمر لا شأن لنا فيه. فإذا ألححنا على معرفته وجعلنا المعرفة شرطا لسلوكنا فنحن غير متوكلين على الله..

سعيد: اذا علينا أن نعمل دون أن نهتم لما يعطيه هذا العمل.. وأن نكافح مخلصين بغض النظر عن نتاج هذا الكفاح.. وأن نقول كلمات الله دون أن نربط قولنا بما ينجم عنه.. هل هذا ما تريد أن تقوله لنا؟

مساعد: أحسنت يا سعيد.. واذكروا جميعا قوله عز وجل في سورة الحجر " وأن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم " فنحن بين أمرين: إما أن نثق بالعناية الالهية ونستسلم للقوانين والسنن التي فرضها للخلق فنحن مؤمنون.. وإما ألا نثق بهذه العناية الالهية لا سمح الله فنتخبط في طريق مسدود حين لا نعترف بأن لكل شيء عند الله خزائنه وأنه ينزله بقدر معلوم.. إن مهمتنا هي أن نفكر ونعمل كما علمنا الله.. وهو الذي وعدنا بالنصر حين نفكر ونعمل في حدود ما علمنا. وأن من الغرور التافه أن نظن بأن في وسعنا الخروج على ما جاء في هذا العلم.

خالد: حسن.. فماذا نقول لمن يرون في علم الإنسان غير ذلك؟

مساعد: اسألوهم: هل استطاعوا أن يحققوا خطوة واحدة ضد السنن والقوانين؟ واسألوهم ما الذي أنقذوا البشرية به حين لم يلجأوا إلى منهج الله في قرآنه في نظام العيش وأخلاق المجتمع وسلوك الناس؟

سعيد: الملاحظ أنهم في كل ما قدموه وحققوه لم يخرجوا على السنن والقوانين بل تقيدوا بها لكنهم تخبطوا في بحر من الظلمات السياسية والاجتماعية والنفسية والخلقية حين لم يلجأوا إلى منهج الله في قرآنه.

مساعد: من أجل ذلك أيها الأبناء طلبت إليكم أن تدركوا من التوكل على الله هذا المعنى الإيجابي المتحرك في حدود القوانين والسنن التي وضعت لأنواع المخلوقات وفي حدود التعاليم والأفكار التي أوحى بها الله إلينا..

خالد: لكن كيف ندخل هذا المعنى في رؤوس كل الناس؟

مساعد: بالمثابرة والصبر.. أن تقولوا الحق لا تنتظرون من هذا القول أن تنجحوا في كسب القلوب " أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء "..

سعيد: هناك من يقول: أن تغيير أخلاق الناس وأفكارهم وعاداتهم لا يتم إلا في حدود الأجيال. فهل هذا صحيح؟

مساعد: طبعاً يا سعيد وهذا أيضًا قانون من قوانين الله.. إن فعالية الرسالة السماوية لا تظهر إلا حين تستوعب عقول أصحابها وقلوبهم لا يخلطون سواها بها. وسنبقى نضطرب في ميدان الدعوة حتى يصبح التوكل حقيقة قائمة في أعماق نفوسنا لا تختلط بها أوهام الضائعين والمعاندين والجاهلين لمعنى هيمنة الله في السماوات والأرض. هذا هو العهد الذي عهد به الله إلى عباده المتقين. وهو لا يحدث آثاره المطلوبة ما لم يؤخذ كله دون تسويات أو مساومات أو أنصاف حلول مع غيره مما نبتدعه أوهام العقول غير المؤمنة.. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله.

موسيقى نهاية...